الرسومات الصخرية بالطاسلي الشمالية الغربية

د. أوبراهم جوهر•

نبذة تاريخية عن الفن ببلاد المغرب:

تؤكد المعطيات الحالية لشمال إفريقيا والصحراء انَ الإنسان لم يعرف الفن خلال العصر الحجري القديم الاسفل ولا الأوسط خاصة عند العاتريين الذين يمكن أن يكون قد عرفوا الفن لكنه تلاش واختفى مع الوقت أو أن الدراسات في هذا المجال ناقصة رغم وجود مواقع عاترية قريبة من المحطات الفنية . لحد الأن فإن أولى التظاهرات الفنية تعود إلى العصر الحجري القديم المتأخر على شكل أشكال منحوتة وتماثيل من الحجارة أو مشكلة من الطين المشوي تحمل عادة اشكال حيوانية او بشرية مثل تلك التي عثر عليها بموقعي تمرحات وأفلو بورمل ببجاية (HACHI S. 2003 P.161.) . كما عرفت خلال الوجه الثقافي القفصي تقنية النقش على قشور بيض النعام لأشكال هندسية متنوعة وأشكال حيوانية وجدت بعدة مواقع كموقع مجاز ٢ بسطيف وواد مية بالقرب من ورقلة والمكتة بتونس. (الشكل: ٥٠و٣).

أما الفن الصخري فقد ظهر وانتشر خلال العصر الحجري الحديث و فجر التاريخ أين عرف انتشارا واسعا بمناطق عديدة من شمال إفريقيا والصحراء بداية بالأطلس الصحراوي الذي يمتد من المناطق الشرقية للجزائر حتى الحدود المغربية والأطلس الكبير بالمغرب الأقصى و بالصحراء الوسطى الطاسلي أزجر و الاهقار والجادو و ادرار دي إفوغاس والأكاكوس والفزان بليبيا والتبستي والإندي بالتشاد .

صوّر الإنسان من خلال الرسومات والنقوش أنواعا حيوانية مختلفة مستأنسة أو برية بعضها انقرضت كالبقر العتيق مثلا مع تمثيل عدة مشاهد من الحياة اليومية والاجتماعية لمجموعات بشرية استقرت بهذه المناطق خلال هذه الفترات كالصيد والرعي والتخيم واللباس والاسلحة و تصفيفات الشعر ..إلخ.

التعريف بالمنطقة :

تقع منطقة تهيهاوت شمال غرب الطاسلي أزجر على بعد ٢٥٠ كلم من بلدية برج عمر ادريس إحدى بلديات ولاية إليزي ، تحدها غربا منطقة أمقيد وعين دكاك شرقا و ربولان شمالا وواد تغمار جنوبا .وهي منطقة تجمع بين السهول والعرق والسلاسل الجبلية المتفرقة تقطعها آسرة وروافد أودية كواد اسكاون وتهيهاوت وواد تبرقت وواد تنيفي تتواجد على ضفافها مجموعة من الملاجئ الصخرية بعضها يحمل رسومات صخرية (الشكل رقم: ٠١)

•أستاذة بمعهد الأثار

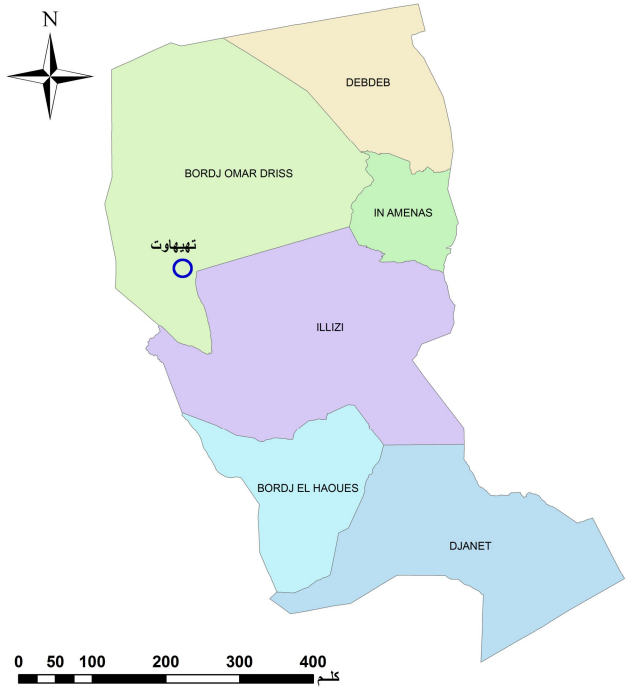

شكل رقم ١: موقع منطقة تهيهاوت بولاية إليزي الطاسلي أزجر

وصف الملاجئ الصخرية :

جل الملاجئ الحاملة للرسومات الصخرية تقع على جروف من الحجر الرملي وهي تسعة ملاجئ صخرية تم جردها أثناء المسح الأثري للمنطقة في إطار برنامج ضم هذه الأخيرة إلى الحظيرة الوطنية للطاسلي. كما لاحظنا وجود معالم جنائزية متنوعة تنتشر بالمنطقة خاصة التلال الحجرية ذات الفوهة او على شكل تقب مفتاح وقطع من الفخار والعظام وبقايا حجرية وأدوات الرحي .

١ - ملجأ اسكاون١: يقع على بعد عشرات الكلومترات من قرية تهيهاوت على يسار واد اسكاون على جرف من الحجر الرملي اتجاهه شمال - جنوب والشرق يبلغ طوله حوالي ٢٨.٢٥ م وارتفاعه ٢.٠٩ م

٢- ملجا اسكاون ٢: يقع على نفس الجرف الرملي أي الضفة اليسرى لواد اسكاون اتجاهه شمال-جنوب وفتحته نحوى الشرق.

٣- امي نسكاون : يقع على نفس الواد على بعد بعض الكيلومترات من الملجئ الثاني وهو مفتوح شرق-غرب يحتوي على رموز كتابية (تيفيناغ؟).

٤- إمراجن وان أوفلا : يقع على نفس الواد يحوي الملجأ على رموز كتابية باللون الاسود والاحمر .

٥- ملجا تونهيك : يقع على الضفة اليمنى لواد تبرقت عبارة عن صخرة كبيرة انفصلت عن سلسلة جرف رملي يقع مابين خطي ٢٧،°٢٦ شمالا و ٣٣،°٠٠٦°شرقا ، يبلغ طوله ٧.٥٠ م وارتفاعه ٢.١٠ م يحوي جدار الملجئ على مجموعة من المشاهد مثلت فيها أشخاص وقطعان من البقر.

٦ - ملجا تكدوين: يتواجد على جرف رملي من واد إن إميهي ويقع ما بين خطي ١٤،°٢٦ شمالا و١٦،°٠٠٦ شرقا وهو مفتوح شمال-جنوب يبلغ طوله ٨.٧٠ م وارتفاعه ٢.٧٠ م أنجزت على واجهته المتعرجة عدة مواضيع واشكال رغم ان هذه الاخيرة ليست مسطحة وملساء لكن الفنان عرف كيف يستغل المساحات الصغيرة لإنجاز مختلف المشاهد .

٧ -ملجأ تين جديظ : عبارة عن جرف من الحجري الرملي يحتوي على ملجأين يقعان ما بين خطي ١٣،°٢٦ شمالا و٢٠،°٠٠٦ شرقا و يرتفعان بـ ٧٢٩ م على مستوى سطح البحر بالقرب منه نجد مجرى مائي القلطة وهذا من الجهة اليمنى أما من الجهة اليسر نجد معلم جنائزي ذو فوهة جانبية.

٨- ملجا تين تنيفي : يوجد على الضفة اليسرى لواد تنفي على بعد بعض الكيلومترات من قرية تهيهاوت فتحته شمال – غرب ويبلغ طوله ١١ م وعمقه ٣.٥٠ م وارتفاعه ٢.٦٠ م.

أما جغرافيا فيقع ما بين خطي طول ٢٦°، ٣١ شمالا وخط عرض ٠٠.°٠٠٦ شرقا يحتوي الملجأ على تطابق مرحلتين تعود إلى فترة البقريات مع تمثيل للأحصنة والعربة التي تعود إلى المرحلة الحصانية

المواضيع الممثلة:

تعددت المواضيع والمشاهد المرسومة في هذه الملاجئ الصخرية فنجد الأشكال البشرية التي تحتل الصدارة ثم الأشكال الحيوانية والأشكال الاخرى كالرموز الكتابية والأشكال الغير معرفة و الأسلحة والمسكن والعربة التي رسمت تقريبا كلها باللون الاحمر الذي يعتبر كلون رمزي عند هذه المجموعات البشرية (Leroi Gourhan, A. 1992)

الأشكال البشرية : تحتل الأشخاص المرسومة الصدارة بـ ١٦٦ شكلا موزعة على مختلف الملاجئ بنسب متفاوتة (الجدول:١) وقد أنجزت هذه الرسوم بتقيات مختلفة خاصة بتقنية التلوين المتجانس وبالمغرة الداكنة والحمراء وباللون الأبيض واللون الأصفر الغامق في بعض الأحيان. مثلت الأشخاص اجسامها على شكل مثلثين متقابلين أو متطاولة ورأس على شكل عصا أو خطم الكلب يرتدون سترات قصيرة على شكل جرس تصل إلى نصف الفخذ أو نصف طويلة بعضها تحمل أنواع من الأسلحة كالرمح والعصا والذرع وبعض الأقواس والسهام (الصورة: ٧و٨).

الأشكال الحيوانية : تأتي الأشكال الحيوانية في المرتبة الثانية أين مثل الفنان حيوانات مستأنسة كالبقر التي تحتل الصدارة بـ ٩٩ رسما (جدول رقم ١) بقرون متنوعة متجهة نحوى الأعلى أو على شكل لير أو كنارة وبقريات بدون قرون التي نجدها في كل الملاجئ ماعدا ملجأ إمي نسكاون وإمرجان وان أوفلا (صورة.٥) بالإضافة إلى انواع أخرى كالكلاب والاحصنة والمعز والغنم مع حيوانات برية كالغزلان والظبي و الاروية لكن بنسب قليلة . استعمل الفنان عدة تقنيات في انجازها خاصة التلوين المتجانس لكل مساحات الجسم مع ترك مساحة محفوظة دون تلوين كما مزج الألوان المغرة باللون الأبيض على مستوى القرون، الأذنين البطن والأطراف.(صورة : 3،٤)

الأشكال الأخرى: تمثلت في مجموعة من الأشكال المتنوعة التي مثلها الفنان على مختلف الجدران خاصة الرموز الكتابية التي سجلت بثلاثة ملاجئ بإمي نسكاون وإمرجان وان أوفلا و بملجأ تين جديظ (صورة :٦) بالإضافة إلى ثلاثة أشكال للخيم (صورة :٢) و شكلين لعربات واحدة منها مجرورة بحصانين من نمط الركض الطائر(صورة:٥).

مختلف المواضيع	عدد الأشكال	النسبة
الحـيونات	١٨٥	٤٤.٢٥
الأشخـاص	١٦٦	٣٩.٧١
أشكال أخرى	٣٩	٩.٣٣
أشكال غير معرفـة	١٨	٤.٣٠
الكتابـة	١٠	٢.٣٢
المجموع	٤١٨	١٠٠

جدول: ٠١ - مختلف المواضيع الممثلة بالمنطقة المدروسة

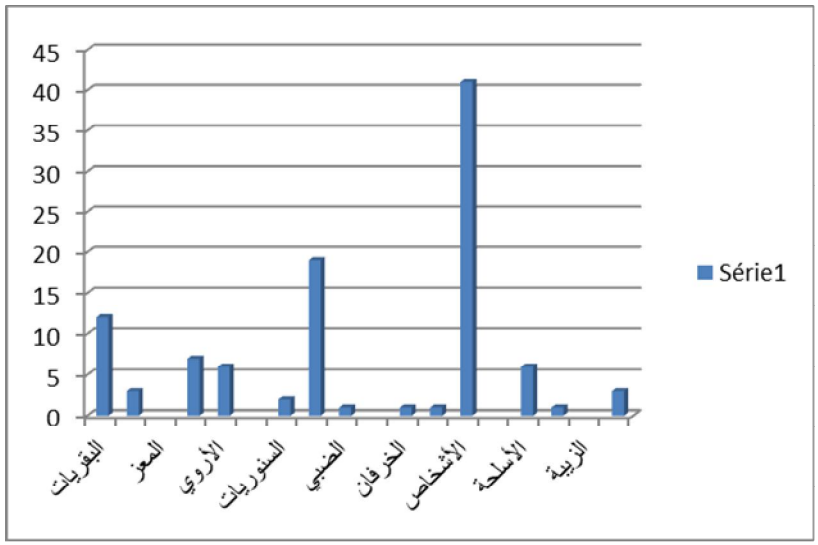

شكل: ٠٢ - منحنى بياني لأهم المواضيع الممثلة

الأساليب والكرنولوجية :

أغلبية الرسومات التي وجدت بهذه المنطقة تنتمي إلى أسلوب **مرحلة الأحصنة** أو المرحلة الليبية - البربرية التي ظهر وانتشر فيها العربة والحصان والرموز الكتابية . أين تصور الأشخاص عادة بمثلثين متقابلين و بسترات قصيرة بالنسبة للرجال ،أما النساء فبفساتين طويلة مع رأس على شكل عصا أو يشبه خطم الكلب (Aumassip,G.et Tauveron,M. 1993) يحملون عادة سلاح الرمح والذرع أو عصا في مشاهد من الحياة اليومية والصيد ومطاردة الحيوانات خاصة الأروى والغزلان كما تمثل معها حيوانات أخرى كالظباء و الماعز و الكلبيات . يعتمد في الرسم تقنية المساحة اللونية الموحدة باللون الأحمر والأبيض ونادرا ما نجد تمثيل تفاصيل الجسم (Camps,G.1974).

تمثيل للعربة مجرورة بالأحصنة على نمط الركض الطائر(Lhote ,H.,1973) كتلك الموجودة باسكاون أو الغير المجرورة كعربة تين تنفي بالإضافة إلى الحصان المركوب و الرموز الكتابية .(Hachid, M.1998 2001)

أما أسلوب **المرحلة البقارية او الرعوية** (Mori,F.1970) فقد مثل فقط بملجأ تين تنيفي و تين جديظ ٢ وفيها صورت أشكال بشرية صغيرة الحجم قدرت ما بين ٣٠ إلى ٢٠ سم بأسلوب طبيعي تحمل بعضها تفاصيل الجسم تشبه نمط إهران تهيلاهي المعروف بالطاسلي أزجر التي تحمل ملامح وجه متوسطية او ذات الوجه الأبيض .(Smith,A.,2003) مع تصفيفات الشعر تحمل اسلحة متنوعة خاصة القوس وسلاح الرمي او المعقوفة (Muzzolini A. 1988 ,1989 ,1995) في وضعيات مختلف وفي مشاهد يومية كرعي البقر والمعز والغنم والصيد او

العراك . أنجزت بتقنية الخط الرقيق والتقنية اللونية الموحدة مع استعمال التنقيط في بعض الاحيان بألوان تتراوح ما بين الأحمر الغامق او الفاتح واللون الأصفر والأبيض بجانب قطعان البقر بكثرة و حيوانات أخرى لكن بنسبة أقل .(Sébe,A.,1991)(Lhote, H.1970,1973).

مميزات و خصائص المواضيع الممثلة بهذه المنطقة :

تميزت المواضيع المختلفة الممثلة بهذه الملاجئ بمجموعة من الخصائص لا خصناها كالتالي

- اهتمام الفنان بالجانب البشري وتمثيله في وضعيات مختلفة و في مشاهد متنوعة
- تمثيل نسبة كبيرة من البقريات دليل على مكانتها عند هذه المجموعات البشرية.
-غياب الحيوانات الكبيرة التي تعيش في المناخ الرطب كالفيلة و الكركدن وفرس النهر والتماسيح وغيرها من الحيوانات والتي تتطلب نسبة عالية من الكلاء والمياه يدل على اختفائها او هجرتها نحو الجنوب مع انتشار الجفاف.
- استقرار الإنسان على ضفاف الوديان ومجاري المياه كالقلطات وهي اماكن تتوفر فيها كمية من المياه والمراعي الصغيرة تسمح بتربية و رعي البقر .
- تمثيل الجمل والحصان والعربة مع رموز كتابية دليل على مرحلة تاريخية وكذا الاسلحة التي ربما يكون أصلها من المعدن .
- ممارسة نشاط الرعي وتربية الحيوانات بالقرب من مكان التخييم يدل على انَ اقتصاد هؤلاء يعتمد على رعي البقر لكن مع الاستمرار في ممارسة صيد الحيوانات البرية كالأروية والظباء والغزلان .
- تمثيل لمشاهد سلخ البقر و الظباء يدل على استهلاك هؤلاء للحوم البقر عكس ما هو معروف من قبل هذه الفترة خلال المرحلة البقرية التي تستغل الحليب والدم اكثر.
- اهتمام الفنان بالمظاهر الثقافية من لباس وتصفيفات الشعر و الاسلحة ومسكن .
- وجود تنظيم اجتماعي بين أفراد المجموعة او القبيلة الواحدة بتقسيم العمل أين خصصت بعض الاعمال كالرعي والصيد وحراسة القبيلة للرجال أما الإناث فقد مثلت داخل الخيمة او خارجها تهتم برعاية صغارها وكذا اهتمام هذه المجموعات البشرية بالاحتفالات والموسيقى مع مشاركة النساء (ملجأ تونهيك).

الخـــاتمـة:

إن دراسة الرسومات الصخرية بالمنطقة الشمالية الغربية بالطاسلي أكدت وجود تعميرا واستقرارا بشريا بالمنطقة منذ العصر الحجري الحديث وما بعد العصر الحجري الحديث والدليل على ذلك وجود قطع فخارية وبعض أدوات الرحي و وجود معالم جنائزية متنوعة خاصة ذو الفوهة أو على شكل ثقب مفتاح كما عرفت المنطقة رسومات الفترة البقرية أو الرعاة والفترة الحصانية والعربات والمجرورة من نمط الركض الطائر و الرموز الكتابية التفيناغ و المرحلة الجمالية التي ترمز إلى المراحل التاريخية وانتشار الجفاف، ولحد الآن مازالت بعض المجموعات الطرقية تستقر بهذه المناطق الحيوية .

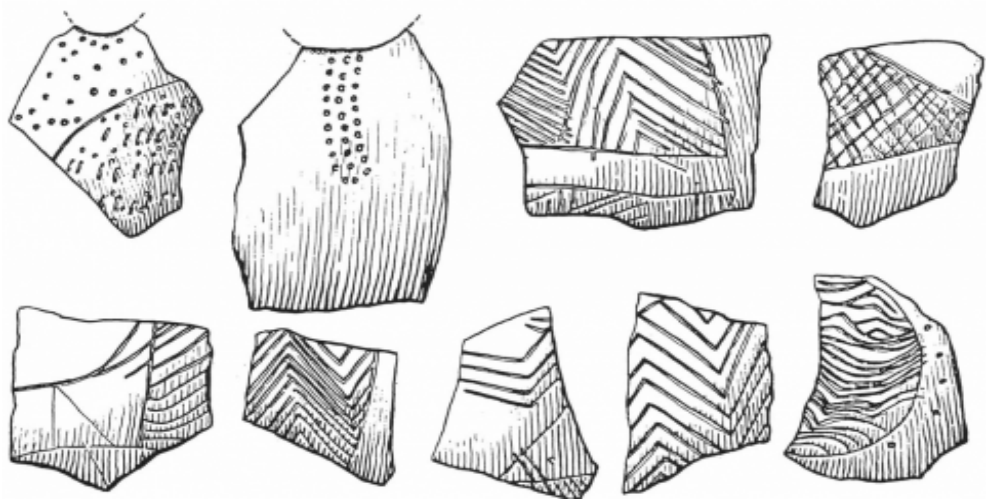

شكل: ٠٣ : نقوش على قشور بيض النعام

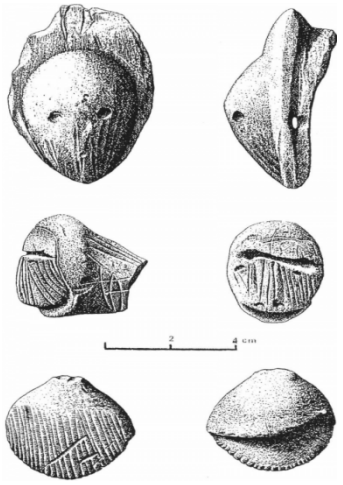

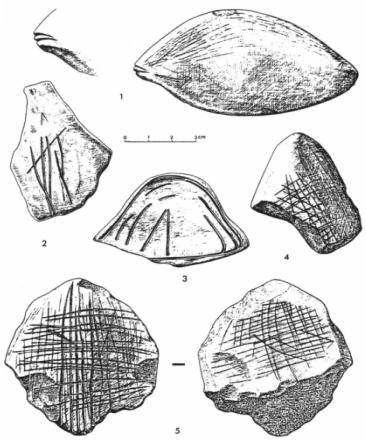

شكل ٤ و٥: حجارة منقوش بموقع المكتة تونس وبموقع مجاز ٢ الجزائر

عن (Camps G. 1974)

صورة رقم ١ : مشهد لأشخاص عائدون من الصيد (ملجأ تين تنفي)

صورة رقم ٢: زريبة ذات شكل مستطيل بداخلها امرأتين (ملجأ تين تنيفي)

صورة رقم ٣ : مجموعة بقريات (ملجأ تين تكدوين)

صورة رقم ٤ : رسم لبقرين بتقنية الخط مع غنم (ملجأ تين تكدوين)

صورة رقم ٥ :عربة مجرورة بحصانين من نمط الركض الطائر

صورة رقم ٦ : مشهد لأشخاص تسلخ بقر ذو قرون(ملجأ تين تكدوين)

صورة رقم ٧ : شخص ذو وجه على شكل خطم كلب يحمل ذرعا وعصا

صورة رقم ٨ : شخص يحمل تصفيفة مرتفعة بيده قوسا وسهاما

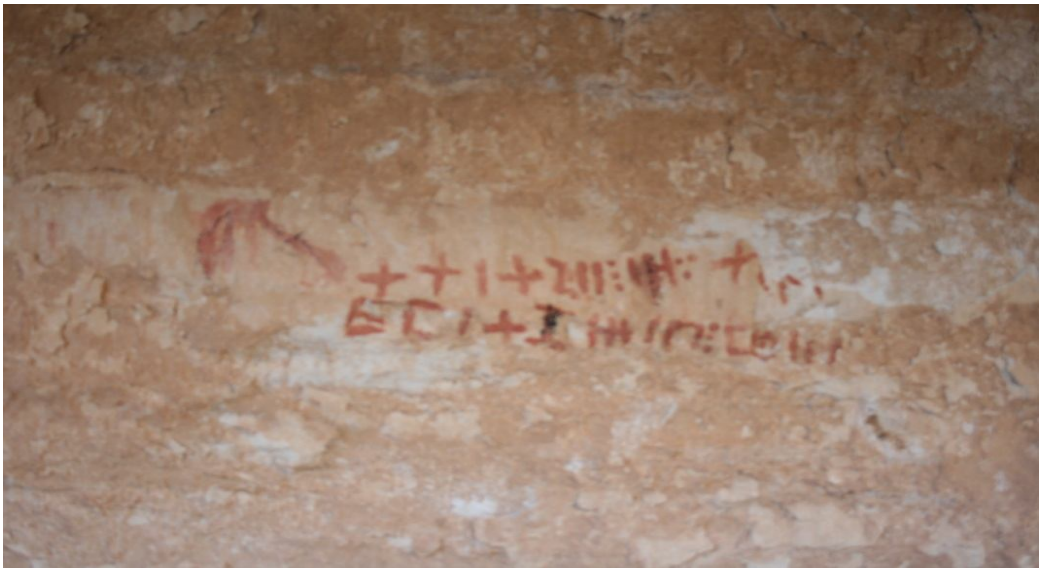

صورة رقم ٩ : رموز كتابية تفيناغ ؟(ملجأ إمي نسكاون)

صورة رقم ١٠: مشهد صيد حيوان الأروي بكلبيات (ملجأ اسكاون ١)

المـــراجـــع:

Aumassip G.-1993- Chronologie de l'art rupestre saharien et nord africain. Ed.J.Gandini.Calvisson.

Aumassip G.,Tauveron M. 1993- Le Sahara central à l'Holocène. L'Arte e l'ambiente del sahara préistorico , Dati et interpretazioni, Milan Italie, Memorie della Societa italiana di Scienze naturali et del Museo civico di storia naturale di Milano , Vol.XXVI , Fascicul2,millano pp.63-80.

Camp G., 1974- les civilisations préhistorique d'Afrique du Nord et di Sahara, éd., Doin, Paris .

Camp G., 1981-Le cheval et le char dans la préhistoire Nord Africaine et Saharienne Aix en Provence, pp.9-22.

Gauthier Y. et Ch., Morel A., Tillet T. ? 1996- L'art du Sahara. Archives des sables. Edition des Seuil.

Hachi, S.2003- AUX ORIGINES DES ARTS PREMIERS EN AFRIQUE DU NORD, C.N.R.P.A.H.

Hachid M., 1998- Le Tassili des Ajjer. Aux sources de l'Afrique 50 siècles avant les pyramides.Edif .2000, Alger.p310

Hachid M., 2001- Les premiers berbères. Entre Méditerranée, Tassili et Nil. Ina-yas, Alger.p.317

Leroi-Gourhan A., 1992- L'Art pariétal. Langage de la préhistoire .Ed. Jerome Million, Grenoble.

Lhote H.1958- A la découverte des fresques du Tassili. Arthaud, Paris.

Lhote H.1970- « Le peuplement du Sahara néolithique, d'après l'interprétation des gravures et des Peintures rupestres » Journal de la Société des Africanistes, T.XL, n°2, p.91-102.

Mori F., 1970- « Proposition d'une chronologie absolue de l'Art rupestre du Sahara d'après les fouilles de Tadrat Akakus (Sahara Libyen). » Valcamonica Symposium.

Muzzolini A., 1981a - « Essai de classification des peintures bovidienne du Tassili » Bulletin de la Société Préhistorique de l'Ariège, P.93-113.

Muzzolini, A. 1981b – Le groupe europoïde d'Iheren- Tahilahi. Etage Bovidien final des peintures du tassili. ROOM, 32, p.121-132

Muzzolini A., 1983- « l'Art rupestre de Sahara central. Classification et chronologie. Le bœuf dans la préhistoire Nord Africain et Saharienne. » Thèse de Doctorat 3éme Cycle, T.1 et 2, Aix-Marseille.

Muzzolini A., 1986- l'Art préhistorique des massifs centraux Sahariens. Bar international série 318.

Sébe. A., 1991-« Tikatoutine, 6000 ans d'art rupestre Saharien Vidanban Tagoulmouste, Ed. Sébe.

Smith, A. ,2003- préhistoire des pasteurs sahariens. In : Mélanges jean Gaussen (Duhard dir. Publ.) Préhistoire, art et sociétés, Bulletin de la société préhistorique Ariège –Pyrénées, t.LVIII,p.251-267

Tauveron M., 1996- « Art rupestre de Sahara Central » in : La préhistoire de l'Afrique de l'Ouest, Nouvelles données sur la préhistoire récente. Edition Sépia, pp.41-50.